التعريف والتنقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن نتدبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق ، فنجريه إلى غايتين : احداهما مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابةً أو أداء ، والأخرى نشر ما انطوى من الضنائن المخطوطة أو المهملة . ومقصدنا ن يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارس

﴿ ثلاثة رجال وامرأة ﴾ بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

١٣½ × ٢٠ ، ١٦٠ ص ، مكتبة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٩٤٣

تفرّد الأستاذ المازني في معالجة القصص بطابع متميز . ومن ظواهر هذا الطابع طواعية البيان . فأنت إذ تمضي في القراءة تشعر بأن الكاتب غير مجهد نفسه في تصيد لفظ أو تركيب عبارة . وانما هو فيض يجري عذوبة وسلاسة . وكذلك تلمح في السياق أشتاتاً من الكلمات يحسن الكاتب استعمالها في مواقع جديدة تتلألأ روعة وتشهد بذوق رائق . وفي تضاعيف الاسلوب روح من الدعابة الحلوة تنطوي على لون من التهكم المهذب والسخرية اللبقة ، وهذه الروح تذهب في نقد الحياة وتكشف الستار عن مآسيها ، دون أن تشق الجروح أو أو تستنزف الدموع

وقصص المازني ، على وجه عام ، زاخرة بالشخصيات الفذة . وهو يصورها حيّة نابضة بريشة فنان ماهر ، ويخرجها عجيبة يأنس الى عشرتها القارىء فيحس انه يخالطها ويطارحها الحديث بلا كلفة ولا وحشة . ولا يغفل كاتبنا حين يرسم شخصياته أن يسترسل في عرض الخواطر التي تثير الفكر

وقد اجتمعت هذه المزايا مكتملة في كتاب الاستاذ المازني الجديد الذي أخرجته « لجنة النشر للجامعيين » وأعني به « ثلاثة رجال وامرأة » . وهو قصة قائمة على التحليل الدقيق لجملة من الشخصيات الطريفة التي لها بالحياة الانسانية والنفس البشرية — دون التعلق بلون عنيّ ساطع — أوثق الوشائج والصلات

ومن الجمع بين هذه الشخصيات يتوضح موضوع القصة وما يقصد اليه مؤلفها . فالبادي للقارىء أن هذه القصة ليست ظاهرة الحبكة الروائية التي ألفها في مقروءاته من القصص الناهجة منهج الاتباعيين . ولكن الاستاذ المازني يضع قصته تلك على أسلوب مستحدث من القصص الفنيّ لاحتْ بواكيره في الأدب الغربيّ منذ عهد قريب ، ولم يغز بعد أدبنا العربي كل الغزو على نحو غيره من مذاهب القصص . فللاستاذ المازني بهذه القصة مزية تقريب ذلك النمط الجديد الذي يقوم على عرض الشخصيات وتحليلها أبعد تحليل ، وبث الخوالج النفسية ، والتعبير عن شتى النزعات الانسانية ، ولا يعنيه الموضوع المحبوك في قالبه الروائي

(١) رتبت أسامي الكتب على حروف المعجم

الأصيل أكثر مما يعنيه تصوير الشخصيات وبسط الخواطر والآراء الجديرة بالنظر والتفهم. فالمازني في كتابه الجديد من الروّاد القدّمين : يطرق مذهباً من مذاهب القصص لم يلتهجه إلاّ الأفذون من أدبائنا المحدثين

محمود تيمور

﴿ الصدّيقة بنت الصدّيق ﴾ بقلم عباس محمود العقاد

١٤×١٩ ؛ ١٤٩ ص ؛ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٤٣

إن المؤلف يبرز في تناول الجزء . فهو مفصّل بصير ؛ وكذلك كان يوم كتب في « عبقرية محمد » . وإني لأردد هنا ما قلته في ذلك الكتاب [1] . والقول انه كان في الحسبان ان يعدل المؤلف عن التحليل الى التركيب ، فيسوق سيرة الصديقة بحيث تشع من جنباتها أنوار الفضل ، كما يصنع الكتاب الافرنج ، اذ يعرضون لسير العظماء ، فعلى هذا النحو ألّف E. Ludwig و S. Zweig و A. Maurois وأضرابهم . ومما ينعطف اليه الفضل المجزيء أن يضع حقيقة من حقائق النفس البشرية ثم يُجري اليها أعمال البطل أو البطلة (الأنوثة ، والغيرة ، مثلاً : ص ٣٣ ، ٤١) على حين انه في طريقة التركيب يشرق مثل تلك الحقيقة من خلال العزمات والانفعالات والحركات ، ولا رسمَ لجريان السرد.

***

كنتُ كتبتُ في « عبقرية محمد » : « أنّ المؤلف ولج الموضوع من باب مستجدّ ، وهو باب نفسيّة النبي العربي ، فأراد بما كتب ان ينفذ الى روح النبي فيستشف لطائفها على اختلاف ألوانها » . وها هو ذا يطرق الباب عينه في الكتاب الذي بين يديّ وموضوعه سيرة السيدة عائشة . ومن محاسن هذه الطريقة ان المترجَم مهما يعظم ويخطر ينزّلْ منزلة الانسان . فالسيدة عائشة ، على فضلها ، أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط في الغيرة حتى إنها لتدبّ بين احدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به (ص ٣٣) ، ومن ذلك أنها ذات حدّة طبيعةً (١٣١) ، وانها قالت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها (١٣٢) ، وأنها مالت الى ذوي قرباها في أمر الخلافة (١٣٣)

تلك مزية في الانشاء الذي يتناول موضوعات قد تحرف المنشيء الى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالاحساسات البشرية الصادقة الصافية

(١) الهلال ، يونيه ١٩٤٢

غير ان هذا الضرب من الانشاء ربما كان مساقاً الى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب اليه المؤلف لما عرض لقصة الافك ، فاجتهد في الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول . وربما لجّ في استخراج هذه ، وأبعد في استنباط تلك ، حتى انه يمسي في مدارج المحاذبة والمدافعة مدرهاً لا باحثاً :

من ذلك انه أوّل شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الافك عند الرجفين — تأويلاً متزيّداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه الى خبر لا ندري ما يكون . وتفصيل ذلك ان المؤلف نقل أن امرأة صفوان « شكته الى النبي لأنه ينام ولا يصلي الصبح قبل طلوع الشمس » ثم زاد « وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان الى بعض معانيها . كأنْ أرادت بنقل النوم كناية عن امر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا انه كان حصوراً لا يأتي النساء ... » (ص ٩٦)

والذي عندي أنّ ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارّةٍ نحو الكناية ، ولو كانت فارّة لكان النبي الركن فطن للامر فما قال لصفوان على جهة التصريح : « اذا استيقظت فصلِّ » إذ عقب صفوان على شكوى زوجه يعتذر قال : « اني امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس » (١) . وأما قصة « الحصر » ليست بالحجة القاطعة . فالذي في سيرة ابن هشام (٢) ان عائشة انما كانت تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء » . وفي « السيرة الحلبية » (٣) انهُ ذكر ذلك من غير إسناد . وأما صاحب « أسد الغابة » (٤) وهو جمّاع وثيق فلم يروِ شيئاً من هذا . ثم ان « الحصور » لا يأتي النساء إما لعفّةٍ فيه حابسةٍ وإما لعُنّة ، والعلة الاولى هي الظاهرة في معنى « الحصور » الذي ورد في القرآن (سورة آل عمران) (٥) . ثم أضف الى هذا الاستدلال الخبري واللغوي أن الذي ذُكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلّماً ما انبث حديث الافك

ومن هذا الباب ان المؤلف يدفع قصة الافك بقوله: «على الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها . . . عليه أن يصدق

---

(١) « السيرة الحلبية » ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٤١ (٢) ط القاهرة ١٣٤٦ ج ٢ ص ٣٠٩
(٣) ج ٣ ص ٥١ (٤) ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٢٦ ي (= مايليها)
(٥) « مفردات الراغب » مصر ١٣٢٤ ؛ ص ١١٩ — ط أيضاً « تفسير البيضاوي » القاهرة ١٣٤٤ ص ٩٧ محت

أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبي ولا بأحكام الاسلام ، وأن يصدق أن السيدة عائشة كانت — وهي زوج النبي — لا تؤمن به ولا تعمل بدينه » (ص ١٠٢) . والذي أراه ان هـذا الاستدلال مجتلب بل محض ذاتي ، وذلك لاننا نعلم من طريق المشاهدة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزلـوا وان كانوا من أهل التصديق والايمان ، ولولا هذا ما احتاجوا الى ربٍّ « توّاب » . وان أنت جاريت المؤلف في منطقه قلتَ : « كيف تؤمن عائشة بالنبي وتنزل عند أحكام الاسلام ثم تسام في صرع قصة المغافير (ص ٣٢) لتستدرج الرسول الى قطع احدى زوجاته ؟ ليستفسر القارىء النابه عن كل ذلك ، فأمن على علم كثير

وكيفما كانت الحال فان قصة الافك لا تحتاج الى مثل ذلك الاجتهاد . وحسبُ الباحث الحدَث أن يقول ماقاله المؤلف بحقٍّ في أول كلامه على تلك القصة : « تلك شبهة لاتكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين . . . إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخـذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الاعراض أهون شيء يخطر على بال » . والمؤلف أن يردف هذا بما يسميه علماء التاريخ « النقد الداخلي » critique interne ومداره تحري الصحيح من المرويّ رغبةً في تبيين أخلاق عائشـة وصفوان . فسيرة الصدّيقة في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة [1] . وأما سيرة صفوان فنزيهـة بشهادة الرسول نفسه إذ قال : « وقد ذكروا رجلاً ماعلمت عليه إلاّ خيراً وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي » [2]

على أن المؤلف لم يُبعد هذا الابعاد إلا في الندرة [3] . ولهُ فصل حسن في « السياسة العامة » التي انتهجتها الصـديقة، ولعلهُ خير ما في الكتاب ، ولعلّ السبب في ذلك ممارسة المؤلف لفن السياسة في حرفة الصحافة . والفصل يدور على وقائع صحيحة عُللت وبُيِّنت في دقة ويُسر

ثم اني لا أشك في أن المؤلف ما أراد أن يولج كتابه في جانب العلم الصِّرف لذلك ليس لنا أن نطالبه بذكر المصادر . غير أن القارىء المستطلع كان يود لو أثبت المؤلف طائفة من المراجع، إذ هناك أخبار وأحاديث قد يحلو للقارىء أن يذهب الى مظانّها مستفيداً أو مستثبتاً ، ولا سيما انه بدا للمؤلف أحياناً أن يكثر النقل (ص ٤٠ ، ٦٣ ، ٩٥

---

(١) بذلك اعترف المستشرق Muir ص ٩٢ (٢) البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء... وفي « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٧ : « منه » بدلا من « عليه » (٣) أبعد أيضاً في ص ٢٥ ، فالذي جرى هناك أمر طبيعي : الاب العربي يؤدب ابنته اكراماً لزوجها وارضاء ، يواسيها الزوج مكتفياً . هذا وفي أعمال النبي مجموع للامثلة الجلية على رأفته بأهله

مثلاً) . من ذلك ان المؤلف قال في اطار قصة الافك : « انهُ ما كشف عن كتف (بالتاء) امرأة قط » ص ٩٦ . والذي في « السيرة الحلبية » [1] من البخاري « انه ما كشف كنف امرأة قط أي سترها لأن الكنيف الساتر » والذي قرأته في صحيح البخاري نفسه [2] عن عائشة أيضاً : « والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل (تعني صفوان) ليقول : سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط » . وفي « نهاية » ابن الاثير [3] : « (وفي حديث الافك) ما كشفت من كنف أنثى »

هذا وربما ساق المؤلفُ الخبر الواحد او الحديث الواحد في لفظين مختلفين (ص ٢٥ ، ٣٣ — ٥٣ ، ٧١ — ٦٧ ، ١٠٠) . فلمَ لا يراسله القارىء في تنقله ؟ بل ينبغي للقارىء ان يراسله في مثل تحقيق سنّ عائشة ، ولا سيما ان التواتر والذي عليه الجمهور أن عائشة تزوجها النبي وهي بنت ست سنين وأُدخلت عليه وهي بنت تسع [4] . فانك لترى المؤلف يرجح ان عائشة ولدت في السنة الحادية عشرة او الثانية عشرة قبل الهجرة ، « فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها او قاربتها يوم بنى بها الرسول » (ص ٤٥) ثم تراه يروي حديثاً لها مستشهداً بلفظه على اسلوبها الرسل السهل ، وحروف هذا الحديث : « تزوجني رسول الله وأنا ابنة ست سنين ... فأسلمتني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » (ص ٥٧ ي) ثم تراه يسوق شهادة جاريتها بريرة وهي تصفها في « السنوات الاولى من زواجها » فتقول : « كانت جارية صغيرة العجن العجين وآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله » (ص ٦٧) . يسوق المؤلف هذه الشهادة ليدل على عبث عائشة البريء ثم يوردها ثانية (ص ١٠٠) ، ليستظهر بها على القائلين بالافك الذي جرى حديثه في غزوة بني المصطلق وتاريخها يترجح بين السنة الرابعة والسادسة من الهجرة

فاذا جمعنا كل ذلك بعضه الى بعض خرج الينا هذا :

١ — يستشهد المؤلف بالمفظر حديث لعائشة ويسقط مدلوله في آنٍ

٢ — تنام عائشة عن العجين ، فتأكله الشاة ، وهي ابنة ست عشرة سنة او اكثر (١٢ قبل الهجرة وهي سنة ولادتها بحسب المؤلف + ٤ بعد الهجرة وهي سنة الغزوة على ادنى تقدير — أو : ١٤ أي سنها يوم زواجها بحسب المؤلف + « السنوات الاولى من زواجها »

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) كتاب المغازي ، باب حديث الافك (٣) مادة ك ن ف (٤) من البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي [illegible] والدارمي واحمد بن حنبل وابن سعد وغيرهم ، وانظر المظان في « مفتاح كنوز السنة » وضعه فنسنك ونقله الى العربية محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٣٤ ص ٣٢٠

على حدّ تعبيره . كيف يكون ذلك ؟ بل كيف تكون عائشة « جارية صغيرة » ، على نحو ما وصفتها بريرة ، وهي ابنة ست عشرة أو فوق ذلك ، والفتيات العربيات كنّ مبكرات النضج ولا يزلن كذلك ؟

ومن المسلّم به أن تباعد الروايات في كتب السلف محلة للحيرة . ولكن المؤلف يختار ويرجح كما قد رأيت . فيحسن به الثبات على رأي يراه ، فلا يكتب في ص ١٠٨ « عاشت السيدة عائشة بعد النبي ستًّا وأربعين » ثم يكتب بعد صفحتين اثنتين « فعاشت في صحبته زهاء عشر سنين وعاشت في ذكراه زهاء خمسين سنة » ، فرامنا الفلات من ذلك الجزم . ومن هذا الضرب قوله في ص ٧٨ « فعائشة البكر قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين » (١) ثم كأنما ريب طارئ داخله فيقول في ص ١١٠ « كانت عائشة في اوائل العقد الثالث على أكبر تقدير عند وفاته » . فالظاهر أن المؤلف يجري الخبر أو الحديث الواحد على حسب المعاطف النابة التي يقصد اليها في هذا الفصل أو ذاك ، والنية سليمة

***

بقي أن المؤلف حسن له أن يعمل للكتاب مقدمة وخاتمة ، فالمقدمة في المرأة العربية قبل الاسلام ، والخاتمة في حقوق المرأة . وفيهما من غزارة المادّة ما يفتق أبوابًا للنقاش والاستدراك . فهل أدعو المؤلف الى مراجعة أمر الوأد في الجاهلية ؟ إذ له أوجه غير التي ذكرها ، يصيبها في كتاب « العرض عند عرب الجاهلية » (باريس ١٩٣٢ ص ١٢٤ ي) (٢) . وفي هذا الكتاب أيضًا ما يدل على أن العرب ما كانت تجري في شؤونها على « الارتجال » — على ما يذهب اليه المؤلف في المقدمة — بل كانت لها أحكام وسنن منظمة ، غير مسطّرة ، لها قوة الفرض ومن خلفها جزاء معنوي . ولتجدنّ جلة ذلك في مادة ع رض من ذيل

(١) على هذا الحساب الجديد تكون عائشة قد أدخلت على النبي وهي دون العشرة — أضف هذا الى ما ورد في المقدمة السابقة عند الكلام على تحقيق سن عائشة

(٢) قال المؤلف « وربما ظن بعضهم أن الوأد كله من مخافة العار . . . فالعرب وجد فيهم من يئد البنات اشفاقاً من النفقة » ص ٧ . فقد ظن أحد هذا ؟ إ . ا الاقدمون من مفسرين وأخباريين يذكرون ما ينبها المؤلف اليه ، ولا حاجة بي الى سرد المراجع ، فالأمر مشهور ، حتى المستشرقون وعلماء الاجتماع ذكروا ذلك ، مثلا :

Robertson Smith, Kinship and Marriage in early Arabia, 2d edition, London 1903, p. 291 . ثم Westermarck, L'origine et le Développement des Idées Morales, trad.fr., Paris 1928-9, I,414

دائرة المعارف الاسلامية الخارجة في ليدن بثلاث لغات اوربية

واما الطاعة فقد ذكرنا خطبة كان القاها شبلي شميل ونشرتها المقتطف سنة ١٨٨٦[1]. فنيها ايضاً ان الفرق بين الرجل والمرأة من اصل الفطرة والطبيعة ، وفيها (ص ٩٧) «أن الرجل والمرأة إن تجاريا فالسابق الرجل هو ، وهل يبلغ الظالع شأو الضليع» او كما ورد في خاتمة كتاب العقاد (ص ١٤١) «ولكن المرأة لا تبلغ شأو الرجل في هذه الصناعات اذا وقعت المزاحمة بينهما في إحداها». حتى مثل تبريز الرجل على المرأة في «الطبخ» او «الطهي» نصيبه في الكتابين جميعاً (شبلي، ص١٠٣ ، العقاد، ص ١٤١)

على ان هذا الرأي الذي رآه فريق مشهورون من فلاسفة الغرب ، مثل شوبنهاور ونيتشه ، ان صدق سنة ١٨٨٦ فهو محل مراجعة اليوم وقد أفلتت المرأة من الوثاق الذي شدتاها به دهراً ودهرا . ولقد كتب في القضية النسوية الشيء الكثير ودار ما دار . غير أني احب ان اذكر المؤلف ان النساء شاركن الرجال في فن الغناء بالشام وبالعراق وبالاندلس ، وبرزنهم احيانا ، وكثيراً ما طارحنهم وخرجنهم ، وحسبهن أن الإمام اسحاق بن ابراهيم الموصلي «مكث سبع سنين يختلف الى عاتكة بنت شهدة في كل يوم تضاربه ضرباً أو ضربين»[2] و«كانت أحذق الناس بالغناء»[3] . ثم اني أحب أن أذكره — فوق هذا — أن Isadora Duncan الاميركية ابتدعت في المائة التي نحن فيها ما لم يخطر ببال رقاص . وعلى هذا قس ما جاءت به في هذا العهد K. Mansfield و V. Woolf في القصص الانجليزي ثم M. Laurencin و S. Valadon في التصوير الفرنسي

ذلك طرف من باب الفن الخالص ، وأما باب الصناعة فخل الطنافس الايرانية والتركية والارمنية — وما أحلاها ! — من نسج المرأة الصناع . وأما التمريض مثلاً فما إخال الرجل يجرؤ على أن يطاول المرأة فيه ، الى غير ذلك من الأدلة التي يلمسها الملاحظ observer في الغرب على وجه التخصيص . لذلك لا يحسن اطلاق الحكم وجزمه في موضوع دقته كدقته . فالمستحسن بل المرغوب فيه أن يتحرز المؤلف هنا فيستنطق التحريات والاحصاءات ، ويوازن بعضها ببعض ، على اختلاف حركات الحس والارادة والذهن ، وإن كان اكثر الحق بين يديه

(١) انظر ايضاً الجزء الثاني من «مجموعة شبلي شميل» مصر ١٩٠٨ ، والى تراجم الصفحات هنا
(٢) الاغاني طبعة بولاق ج ٦ ص ٥٧ (٣) من ابن خرداذبه : الاغاني ج ٢١ ص ٢٢٦

في النهاية . ذلك غلط علماء النفس الذين يتناولون مسألة الفرق بين الرجل والمرأة [١]

وللمؤلف أحكام أخرى قاطعة شاملة قائمة على آراء نسميها في صناعة الفلسفة « قبلية » a priori [٢]. فعلم الاجتماع الحديث يخبرنا — ونحن في ص ١٤٠ — بأن هناك أمما تظفر فيها المرأة بما لا يدور في أذهان بعضهم . ولك أن تراجع لأجل ذلك حتى المرحوم شبلي شميل (المجموعة المذكورة) وأن تراجع خاصة Westermarck المذكور في حاشية سابقة ونظراءه من علماء الاجتماع [٣]

***

وأما أسلوب الكتاب فعلى انسياق بل اندفاق ، في حسن تصرف ، ولطف بيان قد انسحبت في ثناياه برفق مسحة من البلاغة التي في كتب السلف المنقول عنها ، كل ذلك مع هدأة الثابت الذي لا يشغله الظفر . والأداء لا قلق فيه ، والعبارة سليمة ، وإن وقفني أشياء طفيفة معدودة مما يجري ، فيما أعلم ، على أقلام المولدين (وكنا على تلك الحال) . ودونك بعضها :

ص ٢٦ — « آداب العرب النسائية » . فقد نبّه سيبويه على أن النسبة الى نساء « نسوي » (« الكتاب » ط بولاق ١٣١٦ ج ٢ ص ٨٩)

ص ٣٥ ، ٨٢ — « يحرمها من كذا ، حرمانها من كذا » . والدوّن : « حرمت زيداً كذا أحرمه من باب ضرب ، يتعدى الى مفعولين » عن « المصباح المنير » مادة ح ر م ، ثم وازن غيره به

ص ٦٩ — « النسوة الاحدى عشر العراقي » ولعل قرار هاء « عشر » من فلتات الطبع

ص ٨٨ — « اذا هي (الاسرار) أملقت بعظماء الرجال وعظماء النساء » . فلولا « عظماء » الثانية لسلم النطق واستأنست العبارة بالآية « ... وكانت من القانتين »

---

(١) مثلا : Campbell, Differences in the nervous organisation of man and woman, London 1891

وفي هذا الكتاب ان البلاهة في الرجال اكثر منها في النساء . ولك أن تصيب جملة ذلك في :

Heymans, La Psychologie des Femmes, Paris 1925

(٢) اطلب في « مباحث عربية » القاهرة ١٩٣٩ ص ١١٠ معنى « الرأي القبلي »

(٣) حتى في بلد اسلامي ، في مملكة محمد خان أوزبك بالقوقاز (عن رحلة ابن بطوطة ، ط التقدم ، مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢) « ان النساء أعلى شأناً من الرجال ... وربما كان مع المرأة زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها »

ص ٩٣ — « الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة » . فالتراوح خلاف هذا ، كما بيّن من قبل الامام اليازجي ، واليوم الكرملي في مجلة المجمع العلمي العربي ، والعوامري في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي . وانما غرض المؤلف « يترجح » كما سطّرت فوق ، أو يتذبذب ، أو نحو ذلك

ص ١١٧ — « تنكر عائشة التزيد من الثراء على الصحابة » . والمذكور في دواوين اللغة « التزيد في الشيء » أي تكلف الزيادة فيه

وبعدُ فلعلّ بين يدي الاستاذ العقاد ما لا يمتدّ اليه اطلاعي

بشر فارسي

﴿ قنابل ﴾ مسلاة مصرية في ثلاثة فصول ، بقلم محمود تيمور

١٢ × ١٦ ، ١٨٩ ص ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ١٩٤٣

منذ عامين تقريباً نشر الاستاذ محمود تيمور مسرحيته « المخبأ رقم ١٣ » وقد عالج فيها النفس الانسانية وكيف يقوى فيها الشعور الديني عند وقوع الخطر واشتداد الكرب فتتمسك بأهداب الفضيلة حتى اذا ما بدأت ظلمة الكروب تنقشع بدأ الشعور الديني والتظاهر الخلقي في التواري شيئاً فشيئاً

واليوم ينشر مسرحية جديدة هي « قنابل » تمتُّ الى مسرحيته السابقة بصلات منها المعين الذي استقى منهُ المؤلف مادة المسرحيتين ، وهو الحرب وويلاتها وما مرَّ بهذه البلد فيها من فترة كانت أشد الفترات قتاماً وحيرةً وتشاؤماً وفزعاً ، الى جانب صلة الوحدة في فنّ تيمور القصصي من اطلاع على الروح المصرية في حالة الفرح أو الحزن والاضطراب أو الاستقرار ، ومن اهتمام بالاشياء الشاذة في المحيط الذي ينقل منهُ مسرحيته ، ومن ادراك للأحاسيس التي تكون عادة في نفوس الناس وقد تتفق أو تختلف في نفس واحدة تبعاً لظروفها وملابساتها ، ثم صلة أخيرة هي الروح الفكه الذي أضفاه المؤلف عليهما

ولكنّ هناك وجوهاً من الاختلاف بين المسرحيتين في الفكرة والجوّ وفي لغة المسرحية . فهو يطلعنا في المسرحية الجديدة على حيرة النفس الانسانية بين غريزتها في حب الحياة وما فرضته عليها عقيدتها وايمانها بالقدر فرضيت أن تتظاهر وراء العقيدة بما تفزع منهُ الغريزة ، ولكن هذه غلابة ، فتلجأ الى دعاوي أخرى تستر بها فزعها . فنرى أبطال المسرحية يفرّون من المدينة ، عند اشتداد الغارات الى الريف ، بدعوى الحرص على اصلاح

الريف والاشراف على الضياع حتى اذا وجدوا الموت الذي فروا منه كامناً لهم في الريف ، في حوادثه واضطراب الأمن فيه ، وفيما يتفشى من أوبئة ، عادوا الى المدينة بدعوى غير الاولى هي دعوى مشاركة الشعب فيما يقاسيه من آلام

هذه هي فكرة المسرحية الجديدة التي عالج بها الاستاذ تيمور حالة من حالات النفس الانسانية في حيرتها بين الايمان والخوف ، وهي حيرة يتخللها التهور بسبب تلك الفكرة ، ومدارها مفازع النفس مما ليس يبعث في الموضوع الحركة وفي الوجدان الرنة الجائشة . وأما جوّها فهو أرحب من جو مسرحيته الاولى الذي جعل حوادثها كلها تجري في عفاً . وأما لغة المسرحية الجديدة فهي الفصحى وكانت في الاولى العامية . وقد صُدّرت مسرحية « قابل » بمقدمة تحليلية غزيرة كتبها الفنان الاستاذ زكي طليمات

حسن كامل الصيرفي

﴿ معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ﴾ نظم مصطفى الشهابي

١٧ × ٢٤ ، ٧٧٤ ص ، مطبعة الجمهورية السورية ، دمشق ١٩٤٣

﴿ ميزات الكتاب ﴾ ما من أحد من قراء العربية يجهل اسم الأمير الاستاذ مصطفى الشهابي فشهرته معروفة بما وشى به المقتطف ومما بثه على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان جمهور أبناء مُضَر يتمنون أن يروا بين أيديهم هذا المعجم النفيس الذي كان يذكره كثيراً في مقالاته الحجة . وقد امتاز هذا المعجم بأشياء كثيرة لا ترى في طائفة من هذه المصنفات ، ونحن نسرد للقارىء بعض هذه الميزات :

احداها : انه تُرى جماعات جماعات من الالفاظ المعربة تعريباً لا أمت فيه ولا عوج ويردفها بما يبينها لمن لا يهتدي الى معناها . فيقول مثلاً :

Abélie (آبلية بالمذوكر الياء) (سميت باسم أحد الاطباء . جنس جنبات للتزيين ، من فصيلة الخمانيات ، أصلها من الشرق الأقصى وتزرع بعض أنواعها لجمال زهرها)

Abronia رشيقة (الاسم العلمي من اليونانية بمعنى الرشاقة ، لرشاقة أزهارها . جنس زهر من فصيلة الشبيات)

Abrus (Abre) عبلة ، أبروس (الاول ترجمة الاسم العلمي والثانية معربة . جنس نباتات من فصيلة القطانيات ، فيه أنواع للتزيين)

عصبة السوس A. Precatorius . يـلي أميركة رمترجنان . وسماه الدكتور احمد عيسى « حب العروس ، وشنم ، وفلفل » ، على حين ان كلاًّ منها نبات غير هذا النبات . وسمّاه عيون الديك . قلت : لعلهُ عيون الديكة المذكور في المفردات . وهو جنبيّة تستعمل جذورها كعرق السوس ، ولها بزور حمر لامعات ، على كل منها نقطة سوداء يصنعون منها عقوداً وأساور للاولاد :

فالقارىء يرى من هذا الكلام الوجز ان المؤلف كتب : بلى كقرأى وهي الكتابة الفصيحة ، وكثيرون يكتبونها «بلة» بهاء في الآخر وهو غير صحيح . وانك لتجد في هذا السفر الجليل طائفة لا تعد من مثل هذه الاسماء الحديثة الوضع ، لكن على أساس متين لا يتزعزع ، وذلك الى آخر ما دوّنهُ فيه من هذا القبيل

والمزية الثانية انهُ يحكم الوضع عما يقابل الكلمة الفرنجية احكاماً دقيقاً . فقد قال مثلاً في : Acacia Glaucophylla سنط أحوى (داحية في العين ، وقلت : احوى ، بتصرف) وقال في A. Cyanophylla سنط مزرق الورق (ورقه الى زرقة ، وهو صالح للتزيين وللارض اليابسة)

فانظر الى دقة الوضع في التسميتين ولم يكتف في الاول باللفظ اليماني ولم يقل في الثاني سنط أزرق لان الازرقاق غير الزرقة ، وما أكثر من لا يميز الشيء الواحد عن الشيء الآخر

والمزية الثالثة أن المؤلف لا يدون في تأليفه إلا ما تحقق وجوده في كلام الفصحاء ، فان شك أظهر شكه بلا توقف . راجع مثلاً ما وضعهُ بازاء Acer تَرَهُ يقول : « قَيْقَب ، جرْمَشق (القيقب في اللسان والتاج : الآزاد دِرَخت بالفارسية . وهذه الكلمة تطلق على ما نعلم على Melia azedarach ، لكن القيقب أصبحت تدل اليوم على هذا الشجر ، أي على جنس Acer أما الجرمشق فلم أجدها إلا في معجم دوزي نقلاً عن كتاب ألفه لاين(1) في المصريين . قال فيه : أظن ان الجرمشق هو Erable جلس أشجار وجنبات حرجية وتزيينية من فصيلة القيقبيات) — فانظر الى هذا التحقيق ، الدقيق ، ومن الأسف أراني اليوم بعيداً عن خزائني البغدادية . وأظن ان أول من ذكر الجرمشق هو فريتغ الألماني في معجمه العربي اللاتيني ، وأظن أيضاً ان صاحب محيط المحيط نقلها في ديوانه من دون ان يشير الى المصدر الذي أخذ منه ، وقد أَمَّ

(١) نطق الاسم: «لين» Lane وكتابه : Man. and Cust. of the Mod. Egypt. (ب.ف.)

ومما استحسناه كل الاستحسان في هذا الديوان الجليل كتابة « اسيتاة ، وخلاّة ، وسلفاة ، وكبريتاة » ونحو هذه الحروف بالهاء في الآخر ، وهو أول من اتبعنا في هذا الرسم وهو اللازم . وأما كتابتها بالتاء المدورة فغلط واضح ، لأنها ان كتبت بالتاء ، دلت على الجمع السالم لاسية ، وخلة ، وسلفة ، وكبريت وكبريتة ، الى نظائرها . وأما المعترض على ان خلاّة مثلاً يوقف عليها بالهاء فنقول له : ان هذه الالفاظ يسكت عليها بالتاء لا بالهاء وذلك واضح من عجمة صيغتها ، وعجمة تركيبها . فقد جاء في اللسان في مادة : (م ن ي) ما نصه : « وفي التنزيل العزيز : ومناة الثالثة الأخرى . والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهو لغة ، والنسبة اليها منوي » اهـ . (ومناة ، الصنم العربي الانثى لفظ يوناني لأنه كان يرمز اليها بصورة قمر ، ومعنى مناة : القمر ، بلغة الهلنيين)

***

﴿ ما نظنه وهماً في نظرنا ﴾ ان المؤلف العلامة ذكر في معجمه اسماء كثيرة من الحيوان والطير ، والحشرات والهوام وربما استعجل في نقل بعض الاسماء من غير مراجعة بعض تآليف أرباب الفن او الاختصاصيين . فقد ذكر Putois d'Afrique ووضع بين يديه : ابن عِرس (ج : بنات عرس للذكور والاناث . وتطلق أيضاً على الحيوان المسمى Belette وهما من جنس واحد . حيوان من فصيلة السموريّات) . والمشهور عند العلماء ومذكور في أغلب المصنفات في هذا الموضوع ان ما سماه المؤلف ابن عرس هو الظَّربان . وهو مشهور في مَثل عربي يذكره أرباب المعاجم العربية . أما المؤلف فجعل الظربان مقابلاً لما يسميه الفرنسيون Ictomyx ووضع بإزائه Mouette ظربان اميركي . فهذا الوضع صحيح دون الذي قبله

ووضع له مثل هذه الكلم المتقابلة بالعربية وبإزائها اسماء فرنسية غير متشابهة للكلمات الآتية : Chouette, Duc, Effraie, Hibou, Moyen duc, Petit duc, Grand duc وهذه لم تذكر في محل خاص بها ، بل في مادة Duc . وفي العربية ألفاظ خاصة بكل من هذه البوم الكثير لا أتمكن من ذكرها هنا ، لأني بعيد عن كتبي ، التي هي في بغداد . ولعلي أعود الى هذا البحث ، حينما أعود الى وطني بعد حين

***

﴿ ما نتمنى ان يكون في هذا المعجم ﴾ نتمنى أولاً ان يعاد الى العربية ما كان أصله في هذه اللغة الشريفة . من ذلك : Addax . فقد وضع لها المؤلف الكلمة مهاة . وهي على الحقيقة (عَدّاء) من العَدو . وهي غير موجودة في بلاد العرب بل في ديار الاندلس — على

ما أتذكر — والعداء من وضع عرب الاندلس وقيل لي انهُ موجود في جزيرة العرب

وكذلك Chamois فقد وضع لها المؤلف شَمْواة وهي (قَمُوس) في العربية وقد ذكر لغويو الفرنسيين ان كلّهم من الالمانية القديمة Qamuz (قاموتس) مع انها من العربية اذ ليس في الالمانية ما يوجه وضع اللفظ المذكور ، بخلاف العربية فانها مشتقة من القماس كسحاب وغراب ، وهو الوثب الذي هو من خاصية هذا الحيوان الرشيق ، والكلمة من وضع عرب الاندلس أيضاً

ومن هذا القبيل ما ذكره حضرته عن المسمى Cavia Cobaya, Cochon d'Inde, Cobaye (اللفظة اللاتينية كوبايا من لغة اميركية غير معلومة . حيوان لبون من القواضم). والذي عندي ان هذا اللفظ من أصل عربي هو القبع ، لانه كثير القبوع وقبوعه نخيره وهو صوته وان لم يكن عديداً كقبوع الخنزير . قال في « لسان العرب » : قبع يقبع قبعاً وقبوعاً : نخر . وقبع الخنزير ويقبع قبعاً وقباعاً كذلك » اه

ويجري هذا المجرى ما جاء في Boa : بُوَاه (معربة . ثعبان عظيم من فصيلة الاصَلّيات) والذي عندي أن الكلمة من العربية من « باع يبوع : اذا جرى جرياً ليناً وتثنى وتلوى » (عن اللسان) وهذه الصفات من خاصية هذا الثعبان العظيم ، كما هو معروف عنهُ ، ومدوّن في جميع التصانيف

وجاء في ترجمة Alcool « كحول . قَوْل (لم يجز بعض اللغويين الكلمة الثانية يسمّى سبيرتو بعامية الشاميين — اه) وكذلك في عامية العراقيين والمصريين . والقول خطأ وان قال به كثيرون اذ لم يرد في كلامهم . واما كُحُول فصوابها كَحْل كقفل ، كما يقر بذلك لغويو الغربيين . وقد وردت بهذا المعنى عينه في قصيدة قديمة في علم الكيمياء في نسخة خطته لاحد الاقدمين ، والمخطوط محزون في الدير الكرمليّ في بغداد ، وليس الآن في يديّ . والجامع بين الكحل السائل والكحل المذرور هو لطافة الجوهر ، سائلاً كان أم جامداً . وامثال ذلك كثيرة في العربية

وتمنى ثانياً ان يختم كتابة الاسماء المؤنثة بالهاء لا بالألف ، أزهاراً كانت الالفاظ أو مُدناً أو منسوبات الى رجال مشهورين . وسبب هذا الرسم ان الاقدمين ، من علمائنا من العرب الاقحاح ، لما فتحوا المدن الاندلسية ، أو زاروا ديار الغرب ، ما كانوا يكتبون تلك الاعلام إلاّ بهاء في الآخر . فهذا الادريسي لما زار مدن ايطالية لم يختم كتابتها إلا بالهاء . وهي كثيرة . والكتاب نفاس بتلك الاصقاع مطبوع ومنقول الى لغة اجنبية .

وقد وردت (رومة) مكتوبة بالهاء اغلب الاحايين ، ومرتين او ثلاثا بألف ، وأظن أن هذا الرسم الأخير من الناشر أو الطابع لا غير ، وإلا فانها كتبت دائماً بالهاء

والعرب الذين فتحوا ربوع الاندلس لم يكتبوا أسماء تلك المدن إلا بالهاء . وقد وضع العلامة حسن حسني عبد الوهاب باشا رسماً (خريطة) تمثل تلك الديار ، ولم يرسمها كلها إلا بالهاء ولم يسجل واحدة بألف في الطرف بل رسمها كلها بهاء في الآخر ، لأنه توخى الامانة في ما خطط ورسم

وأما الذين يكتبون أسماء الاناث — من مدن ، ونساء ، وأزهار ، وحشرات — بالالف في الآخر ، فانهم لم يكونوا من العرب ، ولم تكن لغتهم المفرنّة ، بل كانوا من أهل سورية أو من الاجانب المتعرّبين ، ممن يرسم أواخر تلك الاعلام في تلك اللغات بالف في الطرف . إبحث في معاجم العرب من لغوية وبلدانية ، تَرهم يكتبون سورية بالهاء ، وكذلك أنطاكية وقسطنطينية وانابة واشباهها ، بخلاف ما يفعله اليوم بعضهم

والأمير الاستاذ صاحب المعجم لم يسر في هذه الطريق على وجه واحد — ويا للاسف ! — بل جرى مرة على أسلوب السريانيين ، ومرة على طريقة العرب وربما جمع بين الاثنتين ، فانك تجده يرسم Dalbergia دلبرجية ، ودفنة Daphne وداتورة Datura Stramonium الخ متبعاً في هذا الرسم منهج السلف الفصيح

وكتب غداسيا ، وغردونيا ، وغردينيا ، وغريفيليا . سعياً وراء السريانيين والمتعربين . وخطّ درْوينا أو دروينيّة ، هكذا بالوجهين لفرنسية Darwinia وقال : « منسوبة الى دروين العالم المواليدي Naturaliste الانكليزي المشهور . جنس جنيبات التزيين من فصيلة الآسيان » . قلنا : فان كانت هذه الجنبة منسوبة الى دَرْوِن (وكتابتها بدون ياء قبل النون هي أفضل من كتابتها بالياء ، كما كان يفعل المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، هي أقرب الى لفظها الانكليزي) . فمن العبث أن تكتب بالالف ؛ كما ان من العبث أن تكتب سورية ، وانطاكية وقسطنطينية الخ بألف في الآخر . وورود ألفاظ مكتوبة بوجهين قليلة جداً

ونتمنى ثالثاً أن يهجر بتاتاً طريقة من يجيز كتابة الصفة المجموعة بصورة مفردة ، وأريد أن أشير الى من يجيز قول من يذهب الى استعمال : نساء صمراء ورجال سمراء . . . فهذا لم ينطق به عربي فقد قال المؤلف مثلاً في Chouette بومة صمماء (أنواع من البوم لا تنازع لها ولذا نعتت بأنها صمماء) . والصواب الذي لا ريب به ، ولا شك ولا توقف :

بأنها « صُـخْم » . ومثل هذا الاستهجان قليل جداً ، لأن طبيعة الامير عربية محضة ، وسليقته تنبذ هذه الشبهات من غير أن يتوخى دفعها بطريقة نحوية أو صرفية

وأن يهجر أيضاً اللغة الجارية ، كما هو دأبه ، ومع ذلك نراه يقول في مادة Dravière خليط الكلإ (خليط من القطاني والنجيليات تزرع بزورها سوية . . . » وسوية لم ترد بمعنى « معاً » الا في كلام العوام من الديار العربية اللسان . ومثل هذه المفوات قليلة جداً بل أقول بكل فخر للأستاذ المؤلف انها نادرة لا يلتفت اليها ، ولا يؤبه لها

وتمنى رابعاً ان يتدبر الكلام حين يصوغ العبارة العربية ولا يلتفت الى أرباب الصحف والكتب السقيمة الانشاء . فقد جاء مثلاً في مادة حامض (ص ٢١ Acide) ما هذه اعادة عبارته بنصها : « حامض جسم مركب يحمر صباغ الطرنشول الازرق . والحوامض ثلاثة أشكال وهي اولاً ... ثانياً ... ثالثاً ... » وصحيح التعبير ان يقال : ثلاثة أشكال وهي : الاولى ... والثانية ... والثالثة ...

وتمنى خامساً ان يعدل عن التعبير الكيماوي القديم الى تعبير عربي يرضي العامة والخاصة ، والعلماء الاجانب وأثبات اللغة . فقد جاء مثلاً قوله في Sulfurex «حامض سلفورو حامض كبريتو » اهـ . ومن المعلوم في لغتنا المدنانية انها لا تقبل الفاظاً تنتهي بواو ساكنة ولهذا قال علماء الجامعة الاميركية منذ نحو سبعين سنة : حامض كبريتوس وهذا أصح . لكني اتفقت مع المرحوم الشيخ احمد الاسكندري أن يقال في حامض الكبريتيك : الحامض الكبريتي . وفي الحامض الكبريتوس : الحُوَيمض (بالتصغير) الكبريتي ، لأن الطارب من هذا الوضع قلة الحامض لا غير

***

﴿ عجبنا من سعة اطلاع المؤلف ﴾ نحكم من مطالعة هذا المعجم النفيس على سعة اطلاع الامير في الموضوع الذي عالجه فانه اطلع ما كتبه الدكتور داود الجلبي وما كتبه مرشد خاطر الدكتور العالم العامل . وراجع ما وضعه المؤلف في : استعمال ، وما كتبه الفريق الدكتور أمين المعلوف ، رحمه الله ، وما كتبتهُ أنا . راجع ما جاء في : مَعمرَي (لا مِعمرى بالكسر لا بالفتح) وما وضعهُ المؤلف بنفسه ، وراجع ما جاء في : سلفرة . ولعلَّ هناك غير من نوهنا باسمه ، أو قد غاب عنا حين كتابتنا هذه العجالة

وفي الختام اننا نشكر العلامة الجليل على ما أتحف العربية ، بهذه الهدية الثمينة . ولا جرم ان كل عالم واسع المعرفة ، وكل مضريّ لا يخامره الحسد ، يشكره معنا لانه أهل